

قصة إسماعيل

obeikandi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ أَعْيُن

إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم . وأمه هاجر أميرة عربية وقعت في أسر فرعون ملك مصر . وأهداها هذا الملك لسارة زوجة إبراهيم حينما كانت برفقة زوجها في أرض مصر .

ولما كانت سارة لا تنجب ، وإبراهيم يرغب بالولد ، فقد زوّجت سارة ، هاجر لإبراهيم ، لعلّه ينجب منها ولداً تقرّ أعين الجميع به . وبالفعل أنجبت هاجر ولداً سُمّي : إسماعيل .

و شاء الله أن تنجب سارة فيما بعد ولداً أسمته : إسحاق . واشتعلت الغيرة في قلب سارة من هاجر وولدها كيف يحظيان عند إبراهيم بعناية كبيرة واهتمام خاص .

فطلبت من زوجها إبراهيم إبعادهما من أمام عينها . ولم يكثر إبراهيم للأمر ، غير أن الله شاء ذلك لحكمة يعلمها . فأمر إبراهيم بإبعادهما من أرض فلسطين حيث كان يسكن .

وامثل إبراهيم لأمر ربّه ، وحمل هاجر وابنها إسماعيل الرضيع ، بعد أن زوّدهما بالزاد والماء . وذهب بهما إلى صحراء لا زاد فيها ولا ماء ، إلى مكة قريباً مما صار بيت الله العتيق . وتركهما وأراد أن يمضي في الظاهر ، ولكن قلبه كان معلقاً بابنه فابتعد عنه وهو يرقبه بعينه .

وترك إبراهيم هاجر وولدها في تلك البقعة الخالية ، وقفل راجعاً ، تنفيذاً لأمر ربّه دون أن يلتفت إليهما كي لا يأخذه الحنين لأهل بيته .

وإذا بهاجر تتعلق بزوجها وتقول له : هل تركنا هنا وحدنا ، في هذا الموضع الموحش المخيف حيث لا يوجد أحد ، ولا يوجد ظلٌ نستظل به؟

فلم يرد عليها بأي كلمة .

وأعادت طلبها له بالاحاح ، ولكنه سكت أيضاً .

وفي المرة الثالثة طلبت منه تفسيراً لما يحدث . ولم تلق جواباً كما في المرّتين السابقتين .

وإذا بها تسأله للمرة الرابعة بعد أن نفذ صبرها :

- الله أمرك بهذا؟

- حينها أجابها ، وقال : نعم .

ف قالت : إذن لا يضيّعنا .

وما أن ابتعد عن مكة ووصل إلى موضع مرتفع ، بحيث يرى هاجر وابنها إسماعيل وهما لا يرونها ، التفت إلى هناك ، ورفع يديه إلى الله بالدعاء وقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37] ، وقفل راجعاً .

وفي هذا الموضع بقيت هاجر مع ولدها الرضيع ، تأكل من الزاد الذي معها ، وتشرب من الماء الذي بحوزتها ، وترضع ولدها إسماعيل . وانتهى الزاد ، وفرغ الماء من السقاء الذي بحوزتها ، ولم تعد تستطيع إرضاع ولدها ، ودبَّ فيها العطش والجوع ، وجاع طفلها .

ماذا عساها أن تفعل من أجل ولدها الرضيع ؟

وبمن تستغيث؟

نظرت يميناً وشمالاً لعلها ترى أحداً. ولكنها لم تجد من يمدُّ لها يد المساعدة ويعينها على إيجاد الطعام والشراب.

فذهبت مسرعة إلى أقرب جبل منها . . . ذهبت إلى جبل قريب من مكانها يقال له : الصفا، فوقفت عليه لعلها ترى أحداً يمرُّ بتلك الناحية. ولكنها لم تر أحداً. فنزلت مسرعة عن ذلك الجبل ومشت مهرولة في السهل، لتذهب إلى جبل آخر، يقال له : المروة، فوقفت عليه لعلها ترى أحداً يغيثها! ولكنها لم ترَ أحداً.

وعادت مرّة أخرى إلى جبل الصفا، تنظر مرّة إلى رضيعها الذي يتلوّى من الصراخ من شدة الجوع والعطش، وتحرك يديها لعل مغياً يراها.

وذهبت مرّة أخرى إلى جبل المروة، وكانت بين الجبلين تركض مسرعة مهرولة في مكان معيّن؛ لأنّها في ذلك الموضع لم يتسنّ لها أن ترى وليدها .

وفعلت ذلك سبع مرّات⁽¹⁾، وحينما انتهت إلى جبل المروة، كأنّها سمعت شيئاً.

ونظرت إلى حيث صغيرها، وإذا بها ترى ماءً يخرج من بين رجلي

(1) وما السعي بين الصفا والمروة التي هي من شعائر الحج والعمرة، إلا تيمناً وأسوة بهاجر وبهرولتها وما كابدته هناك بلهفتها على وليدها أن يقضي عطشاً. والهرولة في ذلك المسعى بين ميلين أخضرين، هو المكان الذي كانت تهرول به السيّدة هاجر مسرعة، لأن من ذلك المكان لم تستطع مشاهدة صغيرها أثناء السعي.

الطفل، فذهبت مسرعة إلى المكان وإذا بعين ماء تتفجر، ولم تصدق نفسها بما تراه.

فأخذت تغسل وجهها وتشرب، ومن لهفتها على الماء خافت وصارت تزُم عين الماء وتضمُّها خوفاً من نفاذها. ولو أنها تركتها لكانت عيناً معيناً.

وجلست هاجر بجوار الماء تشرب منه وترتوي مع ولدها، وأخذت ترضعه وسكت ولدها إسماعيل بعد أن شبع. وجاءت الطيور لتشرب من ذلك الماء فَأَنْسَتْ هاجر بأن شيئاً حياً موجود في تلك الأرض.

وشاء الله أن يقترب من ذلك الوادي الخالي، قافلة مسافرة نزلت بالقرب من مكة للراحة. وإذا بأصحاب القافلة يرون طيوراً تحوم بالقرب من ذلك المكان. وكانوا خبراء في تلك الصحراء، ولم يعرفوا أن بقرب هذا المكان ماء.

فتساءلوا بينهم هل علمتم أنه بالقرب من هنا ماء؟ فكانوا يجيبون بعضهم بأن لا ماء في ذلك الموضع.

ولكن الطيور لا تطير ولا توجد إلا بقرب الماء. وعزموا أمرهم على أن يرسلوا منهم من يستطلع الخبر.

وذهب بعضهم إلى حيث تحوم الطيور. وما إن وصلوا، حتى رأوا امرأة جالسة مع ولدها وبقربها عين ماء، ففرحوا بذلك واستطلعوها الخبر، فقصت عليهم ما كان من أمرها ولدها وخبر الماء.

فاستأذنوها أن ينزلوا عندها ضيوفاً فقبلت. وجاءت القافلة، وضربت مضاربها بالقرب من زمزم فَأَنْسَتْ بهم. وعاد الجميع بأهاليهم إلى ذلك الموضع، وسكنت القبيلة هناك، واسمها: قبيلة جُرْهُم.

ونشأ إسماعيل في تلك الأرض المباركة، ولعب مع أبناء القبيلة، وتعلم منهم اللغة العربية.

بناء البيت:

وبعد أن كَبُرَ إسماعيل، أمر الله خليله إبراهيم ببناء الكعبة المشرفة، وكان في ذلك الوقت في بلاد الشام فقصد مكة لينفذ الأمر الإلهي. وحينما وصلها سأل عن هاجر وابنه إسماعيل.

وحينما قصد إلى مكان إسماعيل رآه يبني قوساً للصيد. وتعانق الاثنان شوقاً وحنيناً إلى بعضهما. كيف لا وقد مر كثير من الوقت لا يعلمه إلا الله وهما بعيدان عن بعضهما.

وبعد أن استراح إبراهيم من عناء السفر، أخبر ابنه بما جاء من أجله.

فقال له: إن الله قد أمرني أن أقوم بمهمة. فما رأيك؟

قال إسماعيل: يا أبت، افعل ما تؤمر.

قال: إن الله أمرني أن أبني في هذا الموضع بيتاً له، وأشار إلى مكان الكعبة، وأمرك أن تعينني عليه.

قال إسماعيل: أعينك بما أمرت يا أبت إن شاء الله.

وقام الاثنان ببناء بيت لله، الكعبة المشرفة. وقام إبراهيم بوضع الأحجار في مكانها، بينما إسماعيل يناوله إياها على كتفه.

وهما بينان البيت كانا يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ

ءَايَاتِكَ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ [البقرة: 127-129]. والرسول الذي أرسل منهم هو محمد ﷺ.

وحينما علا البناء، ولم يعد في مقدور إبراهيم أن يضع الأحجار في أماكنها، استعان بحجر كان هناك. فانغمست رجلاه فيه، ولا يزال هذا الحجر موجوداً، ولا تزال آثار أقدام إبراهيم بارزة فيه. وهو ما يسمى اليوم. بمقام إبراهيم، وموضعه بجوار الكعبة تخليداً لعمل إبراهيم. وقد جعله الله مصلًى. ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَانْخَدُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: 125]. وجعل الله هذا البيت آمناً من المخاوف وملاذًى للمتجئين إليه.

فلما انتهى بناء البيت أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، فجعل لا يمرُ بقوم إلا قال: أيها الناس، إنه قد بُنيَ لكم بيت فحُجُّوه، فجعل لا يسمعه أحد إلا قال: «لييك اللهم لييك». وأصبح الحجُ فرضاً على كل مسلم أن يؤدِّيه متى استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وأتمَّ إبراهيم وإسماعيل بناء البيت، ونشرا دين الله بين القبائل الوافدة إلى هناك.

وانتشر الدين الحنيف بين القبائل، وصار المؤمنون يؤمُّون البيت كلما وفدوا إلى مكة حُجَّاجاً ومُعْتَمِرِينَ. ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: 27].

وعهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل تطهير البيت الحرام عن كل ما لا يليق به وتهيئته للعبادة، ﴿وَعَهْدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: 125].

ودعا إبراهيم لهذا البلد بسعة الرزق، ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا

بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَنِيسَ الْمَصِيرِ ﴿البقرة: 126﴾.

فاستجاب الله الكريم لدعاء خليفه إبراهيم بأن يرزق أهل هذا البلد مؤمنهم وكافرهم. وأن للكافر حساب عسير يوم القيامة.

فكانت الكعبة أول بيت وُضِعَ للناس للعبادة، في حين أن بقية الشعوب والقبائل في سائر الأرض كانوا يبنون البيوت لعبادة الأصنام والتمائيل. ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: 96 - 97].

الذبيح:

في إحدى الليالي التي كان فيها إبراهيم في مكة رأى حلمًا عجيبا. ورؤيا الأنبياء حقٌ ووحى من الله، فقد رأى إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل. وتكرّر الحلم ثلاث ليال متتالية. يوم التروية فتروى، ويوم عرفات فعرف أنها أمر من الله، ويوم النحر نفذها. وأتى لابنه وقال له: يا بني، إن الله أمرني بأمر أو تعيني عليه.

قال الابن المؤمن البار بوالديه: يا أبت افعل ما تؤمر.

قال إبراهيم: يا بني، إني رأيت في المنام أني أذبحك.

قال إسماعيل على الفور ودون تردّد، وهو يعلم أن رؤيا الأنبياء وحى وأمر من الله: يا أبت، افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين.

فهذه الطاعة لم ترق لإبليس فجاء على صورة إنسان ووسوس

لإبراهيم بأن لا يقوم بتنفيذ أمر الله . فما كان من نبي الله إبراهيم إلا أن رماه بالحصى .

ولكن إبليس لم يملأ ، فذهب إلى هاجر وقال لها : كيف تركين ولدك يسير إلى الموت هكذا ، وهو ولدك الذي أتيت به إلى هذه الأرض الجذباء ، وعانيت الكثير في تربيته؟! .

وكانت هاجر المؤمنة تعرف أن هذا أمر إلهي يجب تنفيذه . فلم تأخذها الأمومة دون تنفيذ أمر الله ، فتناولت حصى ورمت بها إبليس .

ولكن إبليس عندما رأى إصرار الأم على تنفيذ أمر الله ، لجأ إلى الابن هذه المرة لعلّه يشفيه عن عزمه . ولكن لقي من الابن ما لقي من الأب والأم ، في رميه بالحصى .

وما رمي الجمار في منى في موسم الحج من كل عام ، إلا إحياء لما كان من قصة الذبح هذه ، ولتعليم المسلمين أن لا ينصاعوا لوسوسات إبليس التي تلاقيهم في مراحل حياتهم المختلفة .

وفي عودتنا لإبراهيم وإسماعيل ، فقد ذهب الاثنان لتنفيذ أمر الله وسطح الابن على الأرض على وجهه كي لا يرى الأب وجه ابنه ، فيأخذه الحنين .

وما إن رفع السكين لينحر بها ابنه . وإذ بنداء من الله ينادي بإبراهيم : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا .

وإذا بكبش عظيم قد أرسله الله فداء لإسماعيل . وذبح الكبش فداء عن إسماعيل ، وأصبح الذبح سنة في عيد الأضحى تيمناً بسنة إبراهيم في تليته لنداء الله .

انظر إلى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي

الْمَنَامِ أَيْ أَذْبَحَكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَدِيرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتَّيِّرْهُمَا ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَنَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ [الصفات: 102 - 111].

زواج إسماعيل:

ما إن بلغ نبيُّ الله إسماعيل مبلغ الرجال، حتى تزوج من إحدى فتيات قبيلة جرهم. وسكن معها، وكان من عادته أن يذهب للصيد لتحصيل قوته. فكان أحياناً يطيل الغياب عنها.

وكانت هذه الزوجة سيئة الخلق، شديدة التذمر، دائمة الشكوى للغريب والقريب، لمن تعرف ولمن لا تعرف.

وكُلَّمَا سألها أحد عن حالها وعن عيشها، تتذمر وتتأفف من وضعها. ولم يكن يعجبها شيء، بدلاً من أن تحمد الله على ما أنعم عليها من عافية، وقوت، وستر... إلخ.

وقدّر الله أن يأخذ الحنين بقلب إبراهيم لملاقة عائلته، وزيارة إسماعيل. فجاء مكة وسأل عن مسكن ولده، فاستدّل على مكانه، ولكنه لم يكن هناك، ولم يكن في البيت سوى امرأته.

فأتاها إبراهيم وسألها عن زوجها، فأخبرته أنه ذهب للصيد لإحضار الطعام لهما.

ثم سألها عن حالهم: وما إن سألها حتى ابتدأت تتذمر وتشكو كعادتها.

وقالت له: إننا في ضيق من العيش لا يحتمل، وإن الفقر من حولنا، وإننا بانسون في عيشنا، إلى آخر ما يخطر ببال الإنسان.

فما كان منه إلا أن قال لها بأنه سيغادر المكان. ولم يخبرها بأنه والد زوجها؛ بل أوصاها: «أن تقرأ السلام لزوجها بالنيابة عنه، وبأنه لا يرضى له عتبة بابه». ولم تفهم ما يعني هذا الشيخ الجليل بكلامه هذا. وحينما أتى زوجها إسماعيل من رحلته، وكأنه أحسن بأن غريباً قد مرّ بهم. فسألها هل أتانا من أحد اليوم؟.

قالت من فورها: نعم لقد أتانا شيخ كبير، وسأل عنك. فقال: ماذا قال لك؟.

قالت: يسلم عليك.

قال: وهل قال لك شيئاً؟

قالت: نعم. لقد سألني عن حالنا. وماذا قلت له؟

قالت: أخبرته بأننا في شظف من العيش.

قال: وهل قال لك شيئاً آخر؟.

قالت: نعم. أوصاني بأن أقول لك: إنه لا يرضى لك عتبة بابك.

قال: ذاك أبي ويريدني أن أفارك وأطلقك.

وعمل إسماعيل بما أوصاه به أبوه.

وقال لزوجته: إلحقي بأهلك، وطلّقيها.

وتزوَّج ثانية من قبيلة جرهم، وإنما في هذه المرّة أنعم الله عليه

بزوجة صالحة، ذات خلق كريم، صبورة، تتحمل مع زوجها مصاعب الحياة وتهونها عليه .

وسكنت هذه الزوجة مع زوجها، تحمد الله على ما أنعم عليها بصحبة هذا الزوج الصالح، الذي يفارق أهله سعيًا وراء لقمة العيش . وكانت ذا وجه بشوش تحبُّ الضيف، وترحبُّ به وتكرمه إذا ما رآته .

وشاء الله أن يعود إبراهيم بعد حين لزيارة ابنه في مكة، ولكن في هذه المرة أيضاً لم يره، لأنه كان في الصيد كعادته لتأمين القوت .

ولم يكن هناك سوى زوجته الجديدة، فقرأ عليها السلام، وردّت التحية بابتسامة عريضة، ورحبت به كضيف، وشيخ غريب .

وعندما سألها عن حالهم، حمّدت الله على نعمه الكثيرة عليهم، وأنهم بأحسن حال . فقال لها إبراهيم : ما طعامكم ؟ .

قالت : اللحم والماء . ولم يكن عندهم حينها من القوت سوى الشيء اليسير .

فقال إبراهيم : اللهم بارك لهم في لحمهم ومائهم . قالها ثلاث مرات .

وبعد أن استراح قليلاً همّ بالانصراف - ولم يخبرها بأنه والد زوجها - وقال لها قبل أن يغادر المكان : إذا جاء زوجك : أقرئيه السلام، وقولي له : جاء ههنا شيخ من صفته كذا وكذا، وإنه يقول لك : قد رضيت لك عتبة بابك فأثبتها .

وذهب إبراهيم، وفي المساء عاد زوجها إسماعيل، وكأنه شعر بأن ضيفاً قد حلّ بهم .

فسأل زوجته مستفسراً : هل أتانا اليوم أحد ؟ .

قالت: نعم. لقد حلّ بنا شيخ كبير.

قال: هل قال شيئاً؟

قالت: نعم. فهو يسلم عليك.

قال إسماعيل: هل أضاف شيئاً؟

قالت: نعم، لقد سألنا عن حالنا.

وقلت له: بأننا بأسعد حال. وقال: ما طعامكم؟ قلت: اللحم والماء. ودعا لنا.

قال إسماعيل: هل أوصاك بشيء؟

قالت: نعم. قال لي: بأنّه يوصيك بتثبيت عتبة بابك.

قال إسماعيل: فذاك أبي. ويريدني أن أبقيك وأحافظ عليك، فأنت العتبة التي يعينها في كلامه. وأمضيا عمرهما معاً.

ورزق إسماعيل اثني عشر ولداً. وكانوا رؤساء قبائل وسمّيت العرب المستعربة.

ودعا أهله إلى دين الله وأمرهم بأن يقيموا الصلاة ويؤدّوا الزكاة، وكان يطيع الله في كل ما يأمره به فنال رضوان الله.

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: 54] وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ [55 -

ولم يكتف إسماعيل بدعوة أهله إلى دين الله؛ بل انطلق في أرض الله يدعو القبائل لنشر دين التوحيد بين الناس، دين أبيه إبراهيم.

وبقي يدعو إلى سبيل ربه إلى أن توفاه الله ودفن في الحجر بجوار

الكعبة، بجوار أمه هاجر التي قيل: إنها دفنت في الحجر أيضاً.
والحجر بجوار الكعبة يسمى إلى اليوم بحجر إسماعيل.
ومنهم من قال: إن وفاته كانت في فلسطين.
ومنهم من قال غير ذلك، والله أعلم.



العبر من قصة إسماعيل:

يؤخذ من قصة إسماعيل عدة عبر، منها:

1 - التسليم لقضاء الله، وعدم التذمّر من الأمور الصعبة التي يمرُّ بها الإنسان فهي خير له وفي صالحه. وما ذهاب هاجر وابنها إسماعيل إلى مكة في تلك الأرض الجدباء التي لا زرع فيها ولا ماء، إلا أن جلبت الخير كل الخير له ولأمّه. حيث أقيمت هناك مناسك الحجّ في تلك الأرض المباركة تيمناً بما لقيه وما لقيه إبراهيم معهم.

2 - عدم سماع وسوسات إبليس في أمور الحياة كلّها، والاقتداء بسيرة إبراهيم مع زوجته هاجر وابنها إسماعيل في رجم إبليس اللعين حينما حاول أن يثني الجميع عن طاعة الله.

3 - يجب أن تقتدي الأمهات بسيرة السيدة هاجر، وأن لا تأخذهنّ الأمومة في تقديم الشهداء من أبنائهنّ دفاعاً عن الحقّ واسترداد الأرض والشهادة في سبيل الله.

4 - الخير يأتي أحياناً مما يظنّه الإنسان شراً.

5 - إن من يثق بالله يحفظه الله، ولا يصيبه ما يكره.

- 6 - ذكّر الصالحين بأعمالهم الصالحة يستمرّ إلى آخر الزمان.
- 7 - إخراج الماء من قلب الصحراء، كإخراج النور من قلب المؤمن، فينتشر الخير الحسيّ بالماء، والمعنويّ بالإيمان.
- 8 - أكرم الله العرب فجعلهم أبناء نبيّه إسماعيل.
- 9 - جعل الله مكّة نقطة تزوّد بالماء بين اليمن وفلسطين. فجاءها الخير من المارّين بها. ووهبت الماء للمتزوّدين.
- 10 - ماء زمزم يذكّر الناس بثقة هاجر في ربّها واعتمادها عليه.
- 11 - يجب التحلّي بالأخلاق الحميدة والصبر على صعوبات الحياة وعدم الشكوى للغريب والقريب. كما حصل مع زوجة إسماعيل الأولى؛ بل يجب التأسّي بأخلاق زوجة إسماعيل الثانية، لأنّ الأخلاق الحميدة تحبّب المرأة إلى زوجها ويذكرها الجميع بالخير.

